فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم
بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا
فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ
ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ
﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ
لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ
وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ
﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ
﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾
عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

[٢٧] فلما رأىٰ الكفار الوعد الذي سألوا عنه وهو عذاب الله قريبًا منهم؛ ظهرت الذلة والكآبة علىٰ وجوههم، ثم قيل لهم علىٰ وجه التوبيخ والتأنيب: هذا هو الوعد الذي كنتم تنكرونه وتستبعدونه، وكنتم تتعجلون وقوعه في الدنيا علىٰ وجه العناد والاستكبار والتحدي، بل وتستهزؤون بمن يحذركم منه. [٢٨] قل يانبي الله لهؤلاء الكفار: أخبروني إذا أماتني الله ومن معي من المؤمنين، أو رحمنا بفضله وإحسانه فأخَّر آجالنا ورزقنا النصر عليكم وصرف عنَّا عذابه؛ فمن الذي يستطيع أن يحميكم ويمنعكم من عذاب الله الأليم الموجع إذا أراد أن ينزله بكم؟. [٢٩] وقل يانبي الله لهؤلاء الجاحدين: لقد صدَّقنا بالرحمن الذي دعوتكم لعبادته لتسلموا من عقابه، وعملنا بشرعه، وأطعناه، وعليه وحده اعتمدنا وفوضنا جميع أمورنا؛ فإن لم تستجيبوا وتؤمنوا به فستعلمون عاجلًا أو آجلًا إذا نزل عذاب الله من الذي كان علىٰ الحق وعلىٰ الطريق المستقيم؛ نحن أم أنتم؟ وهذا تهديد ووعيد لكل من كفر وأشرك بالله. [٣٠] وقل يانبي الله لهؤلاء المشركين: ما رأيكم إن يبست آباركم وأنهاركم وليس في قعر الأرض أي شربة ماء؛ فمن غير الله يأتيكم بماء جار علىٰ وجه الأرض ليسقيكم فيدر به الضرع ويسقي به الزرع، وخصَّ الماء لأنه لا حياة بدونه، وهنا يقول المؤمنون: إنما يأتي به الله إن شاء.

سورة القلم

سورة القلم مكيّة وآياتها ثنتان وخمسون آية.

[١] سبق الكلام علىٰ الحروف المقطعة في أول سورة البقرة. ثم أقسم جل وعلا بالقلم الذي سميت به هذه السورة، والقلم اسم جنس يعم جميع الأقلام التي تُسَطَّر بها الكتب، وله جل وعلا أن يقسم بما شاء من خلقة، أما البشر فيحرم عليهم القسم بغير الله إذ لا شيء أعظم منه جل وعلا، وهذا القسم فيه تشريف وتعظيم وتكريم للقلم. [٢] ثم جاء جواب القسم بقوله سبحانه: ما أنت يانبي الله بسبب فضل الله ونعمته عليك بحمل الرسالة والنور بضعيف العقل، ولا سفيه الرأي. [٣] وإن لك لأجرًا عظيمًا ودرجة عالية عند الله ليس فيه لأحد منة عليك، وذلك بسبب ما تلاقيه من شدائد في تبليغ الرسالة والدعوة. [٤] ثم بين سبحانه أن نبيه ﷺ علىٰ خلق عظيم، وهذه شهادة وتزكية من الله له ﷻ، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت: «**كان خلقه القرآن**»(١). [٥-٦] ثم بشر سبحانه نبيه ﷺ أنه عما قريب سوف يرىٰ هو ويرىٰ مشركو مكة بأبصارهم أيكم الذي أصيب بالخبال؟ قال مقاتل: هذا وعد ووعيد بعذابهم في بدر. [٧] ثم بين سبحانه أنه هو وحده أعلم بمن سلك طريق الضلال والغواية المؤدي إلىٰ سخط الله، وهو أيضًا أعلم بمن سلك طريق الهداية وطريق الفائزين.

[٨] ولا تطع يانبي الله هؤلاء الكافرين المكذبين بآيات الله ورسله، واثبت علىٰ ما أنت عليه من الحق الواضح البين، ومع أنه ﷺ معصوم من الاستجابة لطلبهم إلا أن الله قال له ذلك تعليمًا للأمة والدعاة منهم. [٩] ثم بين سبحانه أن هؤلاء الكافرين يودون لو تلين لهم فلا تذكر أنهم علىٰ باطل، وحينئذ سوف لا يناصبونك العداء ولا يكيلون لك الاتهامات بالجنون وغيره. **قال الشيخ الجزائري: الادهان هو**: أن تتنازل عن شيء من أمور دينك لأجل دنياك، وهو خلاف المداراة: وهي أن تتنازل عن شيء من أمور دنياك لأجل دينك، **وقال الدكتور وليد الفريان: المداهنة**: هي السكوت علىٰ المنكر مع القدرة علىٰ تغييره؛ استجلابًا لمودة المأمور أو لأمور أخرىٰ. [١٠] ثم ذكر جل وعلا صفات هذا المفاوض للرسول ﷺ ونهاه أن يتصف بمثلها فقال سبحانه: لا تطع يانبي الله من كان من صفاته أنه كثير الحلف كذاب حقير. [١١] ومن صفاته أنه مغتاب للناس، يمشي بينهم بالنميمة. [١٢] ومن صفاته أنه بخيل بالنفقة، متجاوز حده في الاعتداء علىٰ الناس. [١٣] ومن صفاته أنه كثير الآثام، شديد في كفره، فاحش لئيم، وبعد كل هذه الصفات الذميمة ففي نَسَبِهِ ريبة، يعني تجمعت فيه كل صفات المكر والسوء. [١٤] ثم بين سبحانه أنه لأجل أن كان ذا مالٍ وثراء وبنين حمله الشعور بالغنىٰ علىٰ التكذيب بآيات الله. [١٥] ثم بين سبحانه أنه إذا قُرِئَتْ علىٰ هذا المفاوض آيات القرآن؛ يقول: ما هذه إلا قصص وحكايات وخرافات الأقوام السابقين. [١٦] ثم أخبر سبحانه أنه مع كل هذه الصفات الشنيعة سوف يجعل لهذا الكافر علامةً علىٰ أنفه يعيَّر بها طيلة حياته، وقد تم ذلك في بدر.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦).

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ
﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ
﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا
خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ
أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾
أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ
كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا
بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ
زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ
يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

[١٧] ثم أخبر جل وعلا أنه اختبر أهل مكة بالجوع والقحط بسبب كفرهم بنعم الله وتكذيبهم بمحمد ﷺ، كما اختبر سبحانه من قبل أصحاب الحديقة الذين تواطأوا علىٰ حرمان الفقراء؛ وذلك حين حلفوا أن يقطفوا ثمار حديقتهم في الصباح الباكر قبل أن يأتيهم الفقراء والمساكين ليعطيهم مالك الحديقة ما اعتادوا أن يأخذوه كل عام. [١٨] وقد بين سبحانه أنهم لم يستثنوا في قولهم فيقولوا: إن شاء الله.

وقصة أصحاب الجنة: أن أباهم كان رجلًا صالحًا، وكانت عنده حديقة؛ فكان إذا أثمرت يقسم الثمرة إلىٰ ثلاثة أقسام: قسم له ولأسرته، وقسم لاحتياجات المزرعة، وقسم للفقراء والمساكين، فلما مات قال أبناؤه: لا نعطي الفقراء؛ فعاقبهم الله علىٰ سوء نيتهم وفعلهم. [١٩] ثم بين سبحانه أنه أنزل علىٰ حديقتهم نارًا أحرقتها وأبادتْها ليلًا، وهم نائمون. [٢٠] فأصبحت سوداء كالليل الأسود المظلم شديد السواد. [٢١-٢٢] ولما طلع الصبح نادىٰ بعضهم بعضًا قائلين: هيَّا اخرجوا مبكِّرين إلىٰ حديقتكم لأخذ ثمرتها قبل مجيء الفقراء والمساكين إن كنتم حريصين.

[٢٣-٢٤] فانطلقوا قاصدين حديقتهم، وهم يتهامسون بصوت منخفض لئلا يشعر بهم أحد، ويقولون: لا يدخل هذا البستان اليوم عليكم أحد من المساكين أو الفقراء.

[٢٥] ثم أخبر سبحانه أنهم بكروا صباحًا علىٰ قصدهم السيِّئ جازمين بقدرتهم علىٰ تنفيذ ما عزموا عليه.

[٢٦] فلما وصلوا إلىٰ حديقتهم ورأوها قد احترقت أنكروها، وقالوا: لقد ضللنا الطريق، وهذه ليست حديقتنا.

[٢٧] ثم لما تأملوا علموا أنها حديقتهم، وأن الله عاقبهم؛ فقالوا: إنها حديقتنا، ولكنَّا قد حُرمناها، وحُرمنا ثمرها؛ بسبب عزمنا علىٰ منع المساكين من خيرها. [٢٨] فقال أعقلهم: ألم أقل لكم: اتقوا الله ولا تحرموا الفقراء نصيبهم ونزهوا الله عما لا يليق به. [٢٩] وحينئذ قالوا: تنزيهًا وتقديسًا لربنا وخالقنا، إنا كنا مجاوزين لحدنا، ولكن بعد أن فات الأوان. [٣٠] ثم أقبل بعضهم يلوم بعضًا تحسُّرًا وندامةً علىٰ ما فعلوه.

[٣١] ثم قالوا: ياويلنا وياهلاكنا، إنا كنا متجاوزين حدودَ الله بعزمنا حرمان المساكين من حقهم. [٣٢] فندموا وتابوا ورجوا الله أن يغفر لهم فقالوا: عسىٰ ربنا أن يعطينا خيرًا من هذه الحديقة، إنا إلىٰ ربنا راجعون وطالبون منه الخير والعفو والعافية.

[٣٣] ثم أخبر جل وعلا أنه بمثل هذا العذاب الدنيوي الذي أنزله علىٰ أصحاب الحديقة يعذب كل من خالف أمر الله وعصاه، ولم يؤدِّ حقَّ الله فيما أعطاه الله، ولعذاب الآخرة أكبر وأشد من عذاب الدنيا، ولكنهم لا يعلمون.

[٣٤] واعلموا أن الله أعدَّ للمتقين الذين يجعلون بينه وبين عذابه وقاية بتوحيده وفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ جنات النعيم، فيها ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر.

[٣٥-٣٦] ثم قال جل وعلا علىٰ سبيل الاستنكار: أفنجعل المسلمين الصادقين كالكافرين المشركين؟ ما لكم كيف تحكمون أيها المشركون هذا الحكم الأعوج الجائر؟ وذلك أن مشركي مكة قالوا: إن كان هناك آخرة وبعث فلن يكون محمد وأتباعه أحسن منا حالًا، وعلىٰ أسوأ الأحوال فسوف نتساوىٰ معهم، هكذا غرهم الغرور وسولت لهم أنفسهم.

[٣٧] ثم وبخهم جل وعلا علىٰ كذبهم وافترائهم، فقال سبحانه: هل لكم أيها المجرمون كتابٌ أُنزل عليكم قرأتموه ووجدتم فيه أن المسلم كالمشرك المجرم؟!

[٣٨] وهل وجدتم في ذلك الكتاب أن لكم ما تختارونه وتريدونه؟!

[٣٩] أم أخذتم علينا عهودًا ومواثيق وأيمانًا - لا نخرج منها إلىٰ يوم القيامة - فيها أن لكم ما تختارون وما تشتهون؟!!

[٤٠] فسل يانبي الله هؤلاء المشركين: من الذي تكفل والتزم لهم بهذا الحكم وَضَمِنَهُ لهم يوم القيامة؟.

[٤١] أم أن آلهتهم تكفل لهم ما يقولون: إن المسلمين كالمجرمين يوم القيامة؟ فليأتوا بهؤلاء الشركاء إن كانوا صادقين في زعمهم ودعواهم.

[٤٢] وأخبر يانبي الله هؤلاء المشركين عن مجيء الله يوم القيامة للفصل بين عباده ومجازاتهم علىٰ أعمالهم؛ وأنه سبحانه يكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ثم يُدعىٰ الخلق للسجود له فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله طوعًا واختيارًا في الدنيا، أما الكفار والمنافقون فإنهم يحاولون السجود فلا يستطيعون، لأن ظهورهم تكون يابسة لامتناعهم عن السجود لله في الدنيا، يقول ﷺ: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقىٰ كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا»[1].

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٩).

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ
سَٰلِمُونَ ٤٣ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم
مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ
أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٦ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ
٤٧ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ
وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ
وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩ فَٱجۡتَبَىٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
٥٠ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ
ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢

سُورَةُ الحَاقَّةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ
بِٱلۡقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ
صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى
ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨

[٤٣] ثم أخبر جل وعلا عن هؤلاء المشركين بأن أبصارهم يوم القيامة تكون خاشعة لا تطرف من شدة الخوف والهول، تغشاهم ذلة ومهانةٌ، وقد كانوا يدعَوْن إلىٰ السجود في الدنيا وهم سالمون معافون؛ فكانوا يتكبرون ويستهزؤون؛ فعوقبوا بعدم قدرتهم علىٰ السجود في الآخرة.

[٤٤-٤٥] ثم طلب جل وعلا من نبيه محمد ﷺ أن يترك هؤلاء المكذبين ولا ينشغل بهم ولا يحزن عليهم، وأخبره سبحانه أنه سيتولىٰ مجازاتهم بما يستحقون بعد أن أمدهم سبحانه بالأموال والأولاد استدراجًا لهم في الدنيا من حيث لا يعلمون أن هذا الاستدراج سبب لإهلاكهم. ثم أخبره أنه سوف يمهلهم حتىٰ يزدادوا إثمًا وطغيانًا، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، ثم بين سبحانه أن هذا الإمهال شكل من أشكال كيده القوي الشديد، وفرصة لمن تاب وندم.

[٤٦-٤٧] أم تسأل يانبي الله هؤلاء المشركين أجرًا دنيويًّا علىٰ دعوتك لهم فيثقلهم ذلك؟ ولهذا السبب أعرضوا عن دعوتك خوفًا من أن يتكلفوا ما لا يطيقون. أم أنهم عندهم علم الغيب فهم مطلعون عليه وينقلون عنه بأنهم لن يعذبوا علىٰ كفرهم وشركهم؟.

[٤٨-٥٠] فاصبر يانبي الله علىٰ أذىٰ هؤلاء المشركين واستمر في دعوتك، ولا تكن كصاحب الحوت وهو يونس عليه السلام الذي ضجر من قومه بعد أن بذل جهده في دعوتهم، فلما ظن - بسبب إصرارهم علىٰ الكفر ويأسه من إيمانهم - أن العقوبة ستقع بهم؛ انطلق إلىٰ البحر ليركب حتىٰ يسلم من مشاهدة النكبة إذا حلت بقومه، ولم ينتظر الإذن من الله، ولهذا عاقبه الله بأن التقمه الحوت، ثم استغاث بالله وهو مغموم مكروب، فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]. ولولا أن الله تدارك عبده يونس بأن رحمه وقبل توبته لطرح من بطن الحوت في الأرض الفضاء الخالية الواسعة وهو ملام علىٰ ما حصل منه، ولكن الله برحمته أمر الحوت بإلقائه وهذا غير مذموم وأنبت عليه شجرة من يقطين تظله، ثم اصطفاه لرسالته وجعله من الصالحين، وأعاده إلىٰ قومه فوجدهم نادمين علىٰ ما فعلوه معه، ثم استجابوا وأسلموا فسلموا.

[٥١-٥٢] واعلم يانبي الله أن هؤلاء المشركين عند سماعهم للقرآن كادوا أن يصيبوك بالعين حسدًا وحنقًا من عند أنفسهم، ولكن الله حماك منهم، ويقولون: إن هذا الرسول لمجنون، أي لا عقل له. وما علموا أنهم هم الضالون وأن القرآن موعظة وتذكير لجميع الناس إنسهم وجنهم.

سورة الحاقة

سورة الحاقة مكيّة وآياتها ثنتان وخمسون آية.

[١-٣] الحاقة اسم من أسماء يوم القيامة، وسميت بذلك لأن مجيئها ثابت حقًّا، وكرر الحاقة لهول الموقف وشدته وفظاعته. ثم وجه سبحانه الخطاب لنبيه ﷺ، فقال: وما أدراك يانبي الله بأهوال يوم القيامة الذي مهما تخيله متخيل فهو فوق ما يتخيل.

[٤] ثم بين جل وعلا أحوال بعض الأمم التي كذبت بيوم القيامة، وبيَّن ما ترتب علىٰ تكذيبهم من عذاب وانتقام، فأخبر سبحانه بأن ثمود وهم قوم صالح، وعادًا وهم قوم هود؛ كذبوا بالقارعة التي هي يوم القيامة، وسميت بالقارعة لأنها تقرع القلوب.

[٥] ثم أخبر جل علا أن ثمود أهلكوا بالطاغية وهو صوت هائل طاغ. وكانت منازل ثمود شمال الجزيرة العربية، وتسمىٰ الحجر، ولازالت آثارهم وكتاباتهم بالجبال التي نحتوها وجعلوها قبورًا لموتاهم.

[٦-٨] ثم أخبر جل وعلا أن عادًا أُهلكوا بريح قوية عاصفة شديدة البرودة. وهذه الريح سلطها عليهم سبحانه سبع ليال وثمانية أيام متتابعة؛ فأهلكتهم حتىٰ إنك لترىٰ القوم موتىٰ كأنهم أصول نخل منزوعة بجذورها من باطن الأرض، فهل ترون أحدًا بقي منهم بعد العذاب؟.

وكانت منازل عاد بالربع الخالي بين نجران والبحر العربي، وهم الذين بلغوا من القوة ما جعلهم يصابون بالغرور مثل أمريكا الآن، فأهلكهم الله بهذا الهواء الذي يحمل الأكسجين الذي تحيا به الأبدان: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١].